المنار
١٣١٥
فنبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)
(مصر في يوم الاحد ١١ ربيع الاول سنة ١٣١٨ — ٨ يوليه (تموز) سنة ١٩٠٠)

مدنية العرب

(النبذة الاولى مقدمة تمهيدية)

اليوم نبدأ بالوفاء بما وعدنا به في الجزء التاسع من الكلام في مدنية العرب ولهذا الكلام فوائد ننبه عليها في فاتحة القول لأن العلم بالفائدة والثمرة ينبغي تقديمه كما قالوا ليكون الطالب على بصيرة فيما يطلب فينتفع به

(الفائدة الأولى) وهي اهمها بيان ان تلك المدنية ما نالها العرب الا بدينهم لانهم كانوا قبل الاسلام ابعد الامم عنها وبهذا تسقط شبهة الذين يزعمون أن دين الاسلام هو الحجاب المسدول بين المسلمين وبين المدنية الحاضرة في هذا العصر لان الشيء الواحد لا تصدر عنه آثار متناقضة متباينة . وهؤلاء الزاعمون كلهم لا يعرفون حقيقة الاسلام وان كان منهم من ينتسب اليه ويلبس لباس خواص أهله

(الفائدة الثانية) ازالة شبهة الذين يحتقرون هذا الشعب (العربي) الشريف ويتوهمون انه لا قابلية فيه للمدنية والارتقاء وان تسنى له من

اسبابها ما تمنى لان له طبيعة خاصة به وهى الجهل والتفرق والبعد عن النظام والاستبداد بالحكم وغير ذلك من النعوت القبيحة التى يرمينا بها الجاهلون بتاريخنا وبطبائع الملل

(الفائدة الثالثة) استنهاض الهمم وحث النفوس على احياء مجد امتنا السابق واسترجاع ما استأثر به الاجانب من تراث سلفنا الصالح وهو العلوم النافعة والاعمال الرائعة والسجايا الحميدة والمآثر المفيدة لنساير بذلك الامم الحية ونجاري الشعوب المرتقية قبل ان تقمرنا سلطتها ونذوب فيها ذوبانا حتى لا يبقى لنا هيئة ملية نتميز بها

(الفائدة الرابعة) معرفة التاريخ الصحيح على الوجه الذى يعطى صاحبه البصيرة ويمنحه الاعتبار فان ما كتب فى التاريخ العربى لم يكتب على الطريقة الحديثة التى تتجلى فيها الحوادث بعللها وغاياتها وتمثل الحقائق بمقدماتها ونتائجها ويوضع كل شيء فى موضعه ويقرن كل امر بملائمه ومناسبه ويتبع هذه الفائدة ما فى التاريخ من الفوائد الكثيرة

العناية بتاريخ العرب والعمل لاحياء مجد العرب هو عين العمل للوحدة الاسلامية التى ما وجدت فى القرون الاولى الا بالعرب ولن تعود فى هذا القرن الا بهم متحدين ومتفقين مع سائر الاجناس لان المقوم لها هو الدين الاسلامى نفسه وانما الدين كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وهما عربيان ولا يفهم الدين من لا يفهمها فهما صحيحاً ولا يفهمها احد على هذا الوجه الاَّ اذا كان يفهم لغتها الشريفة ومن كان له هذا الفهم فهو عربى باصطلاحنا لأننا لا نعنى بالعرب من لهم نسب يتصل باحدى القبائل العربية فقط اذ ليس من غرضنا التعصب للجنسيات بل ان هذا مما

نخترعه ونذمه وننتقد كل من يقول به . المدنية العربية التي نفتخر بها لم يكن كل رجالها من صميم العرب اصحاب النسب الصريح ولكن الأعجمي منهم لم تكن علومه ومعارفه بلغته الاعجمية وانما كان الباعث له عليها والراقي بهمته اليها هو النور الذي اشرق في افق عقله من سماء البلاد العربية والديانة التي تلقاها باللسان العربي. ولقد صدق الحكيم ابن خلدون في قوله ان مثل الزمخشري وعبد القاهر من فرسان الكلام وجهابذة اللسان العربي لم يكونوا اعاجم الا في النسب فقط

ومما يحسن التنبيه عليه في هذه المقدمة ان بعض المتفقهين الذين يدعون باكثر مما عندهم يرون ان الكلام في مدنية العرب وتذكير هذا الشعب الذي يحكم الفقة الاسلامي بانه افضل الشعوب بمجد سلفه وحثه على العلوم والاعمال النافعة — كل ذلك مضر بالمسلمين لان غايته نزع الخلافة الدينية من بني عثمان وهو تفريق يعود على الأمة بالخيبة والخسران. ويروّج هذا القول الزائف على البسطاء هذه الكلمة الصحيحة وهي ان محاولة نزع الخلافة من العثمانيين فيه تفريق بين المسلمين وبلاء كبير على الأمة ولكن هذا التفريق وما يتبعه من البلاء والشقاء ليس لازماً من لوازم العلم والتهذيب والعمل والكسب التي يستحيل ان تنهض أمة وتحفظ وجودها بدونها ولو فرضنا ان ذلك من لوازمها لما كان لنا ان نتركها لأن ترك هذا الملزوم او الملزومات اشد ضرراً واعظم خطراً . وكأني بالاحمق الذي يقول بهذا الترك يرتأي ان يبقى اشرف عناصر الأمة الاسلامية في الدرك الاسفل من الجهل والغباوة والفقر والفاقة والذل والمهانة لأجل المحافظة على لقب « خليفة » في اسرة مخصوصة . وانما قلت المحافظة على اللقب

لأن الخلافة الحقيقية لا تثبت لآل عثمان فضلاً عن غيرهم الا بقوة الملة والدين وهذه القوة منبعها العرب وسياجها العلم والثروة فيجب ان يكونا عامين فى العرب كغيرهم بل العرب اولى بهذا واجدر . على ان الجهل والفاقة مثاران لكل بلاء وشقاء فما دام العرب على جهلهم وفقرهم لا نأمن ان يغش بعض امرائهم غاشٌ من الأجانب فيحمله على طلب الخلافة والأمة الجاهلة تكون مستعبدة لأمرائها وحكامها فيتم بذلك التفريق المخوف . والعلم هدى ونور فاذا فشا فى الأمة تأمن به كل غائلة ونائبة حتى اذا تسنى لأجنبي ان يغش اميراً منها لا يتسنى له ان يغش معه الرأي العام وما دام الرأي العام على بصيرة فلا خوف ولا خطر لأن القوة التى لا تغالب ولا تقاوم هى قوة الشعب والامة

وقد بينا رأينا فى مسألة الخلافة من قبل وفندنا اقوال المرجفين الذين يزعمون ان من المسلمين من يسعى لها سعيها واثبتنا ان هذه غاية لا تدرك بسعي امير من الأمراء او جمعية من الجمعيات وأن الخوض فيها مضر لأنه يوهم البسطاء امكان نزعها من قرابها وتحويلها من مكانها والامر منوط برأي السواد الأعظم من الأمة واين رأي السواد الأعظم من لغط اللاغطين وارجاف المرجفين . واى جاهل يقول ان السواد الاعظم اذا اقرّ على شيء يكون ذلك الشيء تفريقاً ؛ وهل للاجتماع والاتحاد معنى الا هذا ؛

نعم لقائل ان يقول ان المنار قام منذ انشائه يدعو الى الوحدة الاسلامية ويخاطب بكلامه الامة كافة وينعي على من يقول بالوطنية والجنسية فكيف قام فى هذه الاشهر ينوه بالعرب خاصة ويخاطبهم بالاصلاح

من دون سائر الاجناس ؟ والجواب عن هذا يفهمه الذكي النبه من المقالات السابقة ونزيده ايضاحاً مراعاة لسائر الافهام فنقول : اننا في مقالاتنا « الوحدة العربية » و « الترك والعرب » لم نخرج عن التوحيد والتأليف بين العناصر كلها وانما اشرنا الى بعض نزغات التعصب الجنسي عند الترك لأن الطبيب لا بدّ له من تشخيص المرض والتعريف بالداء قبل وصف الدواء وطرق العلاج و « من كتم داءه قتله واماته » ولا شيء يقربنا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة في نفوسهم وبهاء في اعينهم الا اعتقادهم باننا شعب يفهم ويشعر فيسرّ بالكرامة ويتألم من الاهانة وان مسرته نافعة لهم وتألمه ضارّ بهم « ومن لم يكرم نفسه لا يكرم » وقد صرحنا من قبل باننا لا نعني بالوحدة العربية ان ينفصل العرب عن سائر المسلمين او عن الترك خاصة بل نعني به ان كل شعب يجتهد في ترقية نفسه ملاحظاً ان في ترقيه ترقياً لسائر الشعوب التي تتكون منها الأمة وسعادته من مقومات سعادتهم ولكنني لا انكر انني ارجو ان يظهر تأثير كلامي في قومي (العرب) الذين يقرأونه ويفهمونه وهذا ما يحملني على ان اخصهم بالذكر احياناً وان من الجرائد الاسلامية من لا يتكلم في المواضيع الارشادية الا مع اهل بلاده خاصة حتى انه لا يتجاوز ذلك الى ارشاد جيرانها من الناطقين بلغتها كما ترى في اكثر الجرائد المصرية بالنسبة للبلاد السورية والحجازية والمغربية وذلك ان الانسان يراعي في مثل هذا الاقرب فالاقرب . على اننا اقترحنا في مقالات الاصلاح الديني التي نشرت في المجلد الأول ان يكون بين علماء المسلمين وخطبائهم وكتابهم روابط وتعارف ومشاركة في الفكر لأجل ان يكون الارشاد على طريقة واحدة

والله يهدي من يشآء الى صراط مستقيم

باب الوسائل التعليمية

الاحتفال الاول

(بامتحان مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية)

احتفل في اصيل يوم الجمعة الماضي في قبة الغوري الاحتفال الاول بامتحان تلامذة مدرسة مصر القاهرة لهذه الجمعية النافعة تحت رئاسة فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي افندي الديار المصرية وأحد اركان مؤسسي الجمعية واعضائها العاملة . وقد حضر الاحتفال سعادة الفاضل الهمام ماهر باشا محافظ مصر وكثيرون من العلماء والوجهاء وافتتح الاحتفال بقراءة آيات من الكتاب العزيز قرأها احد التلامذة بصوت رخيم وتجويد وترتيل انشرحت له الصدور ثم قام رئيس الاحتفال فشكر للحاضرين عنايتهم بالجمعية وتنشيطها بالسعي لحضور احتفالها ورؤية ثمرة اعمالها ثم بيّنَ ان الغرض الاول من تأسيس الجمعية تربية اولاد الفقراء من يتامى وغيرهم تربيةً يحافظون فيها على عقائدهم وآداب دينهم واخلاقه واعماله ويستعينون بها على معايشهم وتحصيل ارزاقهم ومن عساه يوجد في مدارس الجمعية من اولاد الاغنياء فوجوده غير مقصود بالذات . قال وان الامتحان الذي يعرض امام حضرتكم اليوم هو مطابق لهذا الغرض ومبني على هذا الاصل . ولهذا لا تسمعون فيه ذكر لغة اجنبية ولقد كان من رأي بعض الاعضاء المؤسسين ان تعلم في مدارس الجمعية اللغات الاجنبية